الرحمة والرأفة في ظلال القرآن الكريم

◄يعتبر موضع الرحمة في القرآن الكريم من أهم المواضيع الأساسية فبالبسملة، أي بقول "بسم الله الرحمن الرحيم" يبدأ كل مسلم قراءة أيّة سورة من المصحف وبـ"البسملة" يباشر أي عمل يقوم به. وبما أنّ الرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، إذن لابدّ لكل إنسان من الاسترشاد والاتصاف بالرحمة والرأفة في تعامله ومعاملته للآخرين وان يواسيهم مصائبهم ومشاكلهم إذا ألمّ َ بهم أي مكروه. وعلى كل واحد منا، قبل اقدامه على أي عمل، أن يعرف أنّ الله سبحانه وتعالى رحيم ويحب الرحمة، انطلاقاً من هذا، وعلى الإنسان بدوره أيضاً، الإتصاف بالرحمة وأن يكون رؤوفاً ورحيماً مع الآخرين. وعلى الإنسان التحلي دائماً بكرم الأخلاق ونزاهة الضمير وطهارة الذمة ذلك بأنّه مخلوق له عقل، ولذا ينبغي له أن يحيى حياة شريفة آمنة تليق بالإنسان. ولكن إذا اتصف بالفظاظة وغلاظة القلب ودناءة النفس وعدم الرحمة والرأفة في علاقته مع الآخرين، فإن حياته ستكون باطلة ومعقدة. وما لم يحد عن هذا الأسلوب في حياته فلن يشعر بمتعة الحياة الحقيقية والسعادة. ولدى قيام المسلم بأي عمل لا ينبغي له النظر إلى ذلك كتصرف إنساني بحت، بل كجزء لا يتجزأ من عقيدته، إذ ان مبدأ وأساس دينه هو الإيمان المرتبط صلة وثيقة بالطيبة والإحسان. وعلى كل إنسان، وبناء على ما تمليه عليه تعاليم دينه، الاهتمام ليس بمصلحته الشخصية فحسب، بل وعليه الاهتمام بمصلحة وسعادة أطفاله، وأولئك الأطفال الذين عبثت الأقدار بمصائرهم وحرموا من العطف الأبوي والأمي.

ولقد أوصانا القرآن الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحريم/ 6)، انّ هذه الآية الكريمة تحث على ضرورة اهتمام المرء بأسرته وتربية أطفاله تربية صالحة إذ انّ الأطفال هم غدنا. كما وتفرض التقاليد الإسلامية على الأبناء اطاعة آبائهم وأمّهاتهم، وعلى الآباء والأُمّهات أّلا ينسوهم بدورهم أيضاً انّه يتوجب عليهم أن يستحقوا احترام وتقدير أبنائهم. ولقد قال ا تعالى، فيما يتعلق باحترام واطاعة الوالدين: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا) (الإسراء/ 23).

وهكذا نفهم انّ الشفقة والرحمة هما من أولى الصفات التي ينبغي على المسلم التحلي بها. وانّ الشفقة والرحمة ينبغي لهما ان تكونا من مزاياه الخلقية التي تدل على نزاهته وطهارته وأمانته وشرفه. فالمسلم بتجنبه التعرفات اللاخلقية يطهر نفسه وينال مقاماً محموداً عند ا تعالى. وإذا ماسعى كل مسلم إلى تجنب كل ما هو منكر لا يليق بالأخلاق، فإنّ ا تعالى غفور رحيم وسيغفر له صغائر ذنوبه. لقد جاء في القرآن الكريم: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) (البلد/ 18-17). إنّ امتياز الإنسان بالعطف والرحمة لدليل قاطع ساطع يشير إلى استقامته وأمانته ونزاهته. وان صفحه عن أخيه وغفره له ذنوبه، واحسانه إلى الفقراء والمساكين ومواساته للمرضى واهتمامه بهم وبكل من يحتاج إلى الاهتمام والرعاية، كل هذه الأمور تعد من الصفات التي يمتاز بها الإنسان العطوف الشفوق الرحيم. جاء في "صحيح البخاري" – عن أبي هريرة (رض) ان أحد الصحابة سأل رسول ا (ص): أأن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: "في كل ذات كبد رطبة أجر". ينبغي لكل مسلم التحلي بالرحمة وفعل الخير والرأفة بكل أحاسيسه وجوارحه وسلوكه وبشكل يتفق مع تعاليم القرآن الكريم، والا يمر بالمساكين والمحتاجين للعطف والرعاية دون ان يمد لهم يد العون. هكذا فقط يستطيع المرء ان يفوز برضا ا تعالى ويكفر عن ذنوبه ويدخل الجنة.►